بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان الآية فالحق ان ابتلاه عليه الصلاة والسلام ما ورد عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين كلهن
تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا
امراة واحدة فجاءت بشق ولد له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فالقته القابلة
على كرسيه فقال محمد صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في
سبيل الله وقيل ابتلاه انه ولد له ولد فكانت يغذوه في السحاب خوفا من ان يقتله
الشيطان او يخبله فما راعه الا ان القي على كرسيه ميتا فعلى الاول ذنبه حرصه على
ذلك وتمنيه او عدم تقديمه المشيئة لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من
التمني او لنسيانه ان يقولها ليقضي الله امرا كان مفعولا فان قلت فقد نبهه
صاحبه عليها فلم يقلها قلت لعله لم يسمعه بل شغل عنه وعلى الثاني ذنبه ترك
التوكل والعدول عن الاولى اذ ليس في التحفظ ومباشرة الاسباب ترك لامتثال امر
التوكل على ما قال عليه الصلاة والسلام اعقلها وتوكل واستغفاره عليها انما هو
باعتبار ما عده بالنسبة لمقامه ذنبا وخطا وان كان في حد ذاته ليس كذلك وقيل
ابتلاه سلب ملكه وذنبه انه احب بقلبه في تخاصم رفع له ان يكون الحق لاختانه
على خصمهم واما ما روي من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيته وجلوس
الشيطان على كرسيه فقصته ممنوعة ودون اثباتها خرط القتاد ولو سلمت جاز ان
يكون اتخاذ التماثيل غير محرم في شريعته وعبادة التماثيل في بيته لم يكن بعلمه
ما يشعر به قوله تعالى حكاية عنه وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي من الحسد
وعدم ارادته الخير للغير وجوابه ان ذلك لم يكن منه نفاسة وغيرة على الدنيا
وحسدا للغير بل كان ذلك اما طلبا للمعجزة على وفق ما كان عليه في زمانه ولائقا بحاله
فان اهل زمانه كانوا يفتخرون في ذلك العهد بالملك والجاه كإلانة الحديد لابيه
واحياء الموتى لعيسى ونصر محمد صلى الله عليه وسلم بالرعب لانبيا وقد كان ناشيا
في بيت الملك والنبوة وارثا لهما واما اظهارا لامكان طاعة الله وعبادته مع هذا الملك
العظيم وقيل اراد ملكا لا يورث مني وهو ملك الدين لا الدنيا قلت وفيه نظر
لا يخفى وقيل اراد ملكا لا يسلبه ولا يتسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان
مدة امتحانه على قول واه وقيل اراد ملكا خفيا لا ينبغي لاحد الناس وهو القناعة
وقيل انه سال ملكا عظيما فخاف على غيره ان اوتيه ان لا يقوم بشكره ولا يحافظ فيه
على حدود الله تعالى واما ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على
على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه فمما لا يصح لان الشياطين لا يسلط
على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله اذاية ووسوسة بالاجماع واما قصة يوسف
عليه الصلاة والسلام فالاشكال فيها من وجوه ايضا الاول ان يعقوب عليه
الصلاة

٢٢٩

الصلاة والسلام افرط في محبته والحزن والبكاء وبث الشكوى وذلك لا يليق بغير الانبيا
فضلا عنهم وجوابه انه لا معصية في ميل النفس شيئا الى من يلوح عليه آثار
الخير والصلاح وانواع الكمال ولا في بث الشكوى الى الله تعالى في مصائب تكون من
جهة العباد سيما وقد قيل انه كان من خوف ان يموت يوسف على غير دين الاسلام
حيث فارقه صغيرا مع كثرة الكفار واستيلائهم اذ ذاك على غالب الاقطار والثاني
تعدي اخوته عليه ونزعه من ابيه وتفريقهم بينهما وكذبهم على ابيهم حين اخبروه
بان الذئب اكله ولم ياكله مع انهم الاسباط وقد عدوا في القرآن عند ذكر الانبيا وجوابه
انهم لم تثبت نبوتهم حتى يلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر
الانبيا حمله المفسرون على من نبئ من ابنائهم ولو سلمنا نبوتهم امكن الجواب بانهم
كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا
به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب فلم تثبت لهم نبوة الا بعد هذا قلت
كذا اجابوا به وهو صريح كلام القاضي في تفسير سورة الانعام في ابيه ابرهيم وفي كلام
بعض المتاخرين خلافه وانهم معصومون في حال صغرهم وكبرهم والحق عصمتهم
من الكفر صغارا وكبارا واما غيره فبعد النبوة كذلك واما قبلها فنساتي ما فيه
والله اعلم الثالث انه هم بزليخا وانه جعل السقاية في رحل اخيه من غير علمه ونسب
اخوته الى السرقة وانه رضي بسجود اخوته وابويه له وجوابه ان الهم النفسي
ذهب كثير من الفقها والمحدثين الى عدم المواخذة به مطلقا وليست سيئة على ما
يشهد به ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها
كتبت له حسنة وعليه فلا معصية في همه عليه الصلاة والسلام بها آنذ واما على
ما ذهب اليه المحققون من الفقها والمتكلمين من التفصيل بين ما لم توطن عليه
النفس من همومها وخواطرها فلا يواخذ به ولا يكون سيئة وبين ما وطنت عليه
النفس من ذلك فيواخذ به ويكون سيئة وهو الحق الحقيق بالقبول فيحمل همه
عليه الصلاة والسلام بها على ما لم يوطن نفسه عليه ولم يوجه عزمه وقصده اليه
بل المراد به الميل النفساني المركوز في الطبيعة البشرية لا الهم بالمعصية والقصد
اليها وحينئذ يكون قوله وما ابرئ نفسي الاية مصروفا الى هذا الهم او محمولا على
التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي وبرئ عنه قبل وقد روى ابو حاتم عن
ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولولا ان راى برهان ربه لهم
بها فقدم دليل الجواب وهو وهم بها وحذف الجواب ثم بها ليس معطوفا
على همت به على هذا وقيل المراد شارف ان يهم بها فيكون الكلام من باب
المشارفة وبرهان ربه الملك او ابوه او كون مكتوب فيها ولا تعملون من عمل الا كنا
عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وقيل المراد هم بزجرها ووعظها او بضربها ودفعها